رحلة اللغة الآشورية المكتوبة

على مدى خمسة واربعين قرناً

(ܣܘܥܡܢܐ ܕܠܫܢܐ ܐܬܘܪܝܐ ܚܒܝܒܬܐ ܡܝܬܐ ܕܫܢܐ ܐܠܦܝܢ ܘܚܡܫ ܡܐܐ)

تمكنت المجموعات البشرية الاولى من الجنس الآشوري من تأسيس دولتها القومية القوية وبصورة مفاجئة في القسم الشمالي من بلاد الرافدين، إذ لم تظهر في التاريخ اية دولة مركزية قوية هناك قبل دولة الآشوريين على يد الملك شمشي ادد الاول (1814-1782)، في عاصمة الآشوريين الاولى آشور، على الضفة الغربية لدجلة جنوب نينوى(موصل اليوم).

كانت لهذا الشعب ودولته لغة خاصة بهم تكتب بالخط المسماري، تلك اللغة التي اعتبرها معظم العلماء والباحثين في علم الاسريولوجي اللهجة الآشورية من اللغة الاكدية. وبالمقابل اعتبروا لغة بابل حمورابي اللهجة البابلية وهم محقون في ذلك، إذ ان لغة آشور ولغة بابل فيهما الكثير الكثير مما في لغة اكد. وان اللهجة الآشورية في آشور وثقافة الآشوريين وطبيعة ديانتهم وحياتهم الاجتماعية وحتى اسمائهم اقرب الى ما كان في أكد مما هو عليه لدى شعب بابل ولهجته (لغته). والامر في ذلك طبيعي جداً لان الاكديين كان انحدارهم من بلاد آشور الام، عكس سكان بابل الذين قدموا من أعالي الفرات وكان اسمهم الاول آمورو (الآموريين).

نظراً لطول فترة بقاء الآشوريين كفاعلين رئيسيين على المسرح السياسي والعسكري والحضاري في منطقة شرق المتوسط وجنوب غرب اسيا، إما كشعب يعيش على أراضي شاسعة او كدولة ذات سيادة او كأمبراطورية تجول وتصول وتفرض إرادتها على منْ حولها من الامم والشعوب.. فقد درج العلماء على تقسيم تاريخ هذه الامة الى ثلاثة ادوار او حقب تاريخية:

1- العصر الآشوري القديم (2000 – 1500) ق.م

2- العصر الآشوري الوسيط (1500 – 911) ق.م

3- العصر الآشوري الحديث (911 – 612) ق.م

لقد تبع هذا التقسيم التاريخي والحضاري، تقسيم لغوي مماثل حيث درج المختصون بشؤون اللغات الآشورية القديمة (المكتوبة بالخط المسماري) الى تقسيمها هي الاخرى الى ثلاث حقب او لغات إستناداً على ما حصل عليها من تطور لغوي وحتى على عدد وشكل العلامات المسمارية المستعملة في كل مرحلة، وعلى الكم الواصل الينا من الرقم الطينية المكتوبة وشكل الحرف او المسمار ومدلولاته المعنوية والصوتية في المقطع اللغوي. من هنا فكان للاشوريين ق.م هذا التدرج اللغوي:

1- اللغة الآشورية القديمة (2000 – 1500) ق.م

2- اللغة الآشورية الوسيطة (1500 – 1000) ق.م

3- اللغة الآشورية الحديثة، في العهد الامبراطوري (1000 – 600) ق.م

علماً ان البدايات الاولى للكتابة في بلاد آشور كانت في حدود (2500) ق.م

ولكن إذا ما اراد الباحث العلمي في هذا العصر الذي نحن فيه، ان يكون منصفاً واميناً مع نفسه ومع البشرية ومع ما تملكه من الارث اللغوي والانساني عموماً، لا بد وان يضيف على هذا التصنيف مرحلة لغوية آشورية اخرى بعنوان:

4- اللغة الآشورية المعاصرة (الرابعة) والمكتوبة بالابجدية (1500م – لحد الان)، وذلك خدمة للامانة العلمية والاكاديمية وتلبية للمنطق والواقع المعاش خلال هذه الفترة (1500 – 2019) م. كل هذا تماشياً مع الحقيقة التاريخية المعروفة لدى معظم المهتمين بهذا الجانب. وان الجدول الأتي خير ما يوضح مسألة تطور اللغة الآشورية منذ ان تمت كتابتها في النصف الاول من الالف الثالث ق.م لاول مرة.

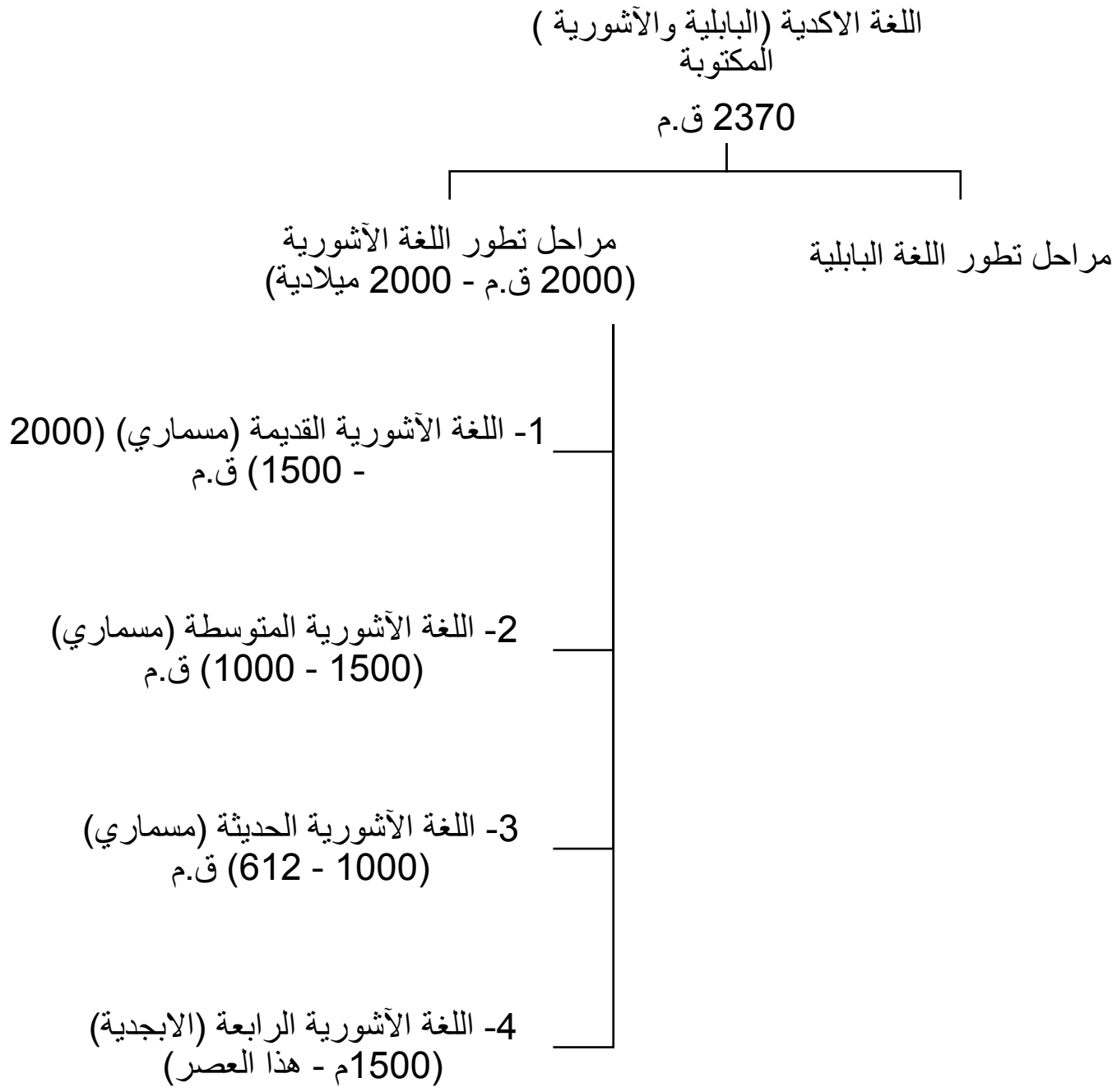

كل ذلك لان توقف اللغة والحضارة والوجود الآشوري مع سقوط دولته في 612 ق.م أمر غير منطقي بل انه ضرب من الخيال وراءه مقاصد. كما ان الواقع يؤكد وبالتفاصيل المملة عن بقاء الآشوريين ولغتهم وثقافتهم وحضارتهم لحد الساعة. وان تلك اللغة والحضارة والثقافة قد خضعت لنواميس التطور كما هو الحال مع بقية الامم والشعوب الحيّة. وقد تأثرت وأثرت بشكل ملموس وظاهر مع المحيط طوال هذه الفترة.

وان الآشوريين المسيحيين رغم اتخاذهم اللهجة السريانية كلغة رئيسية في الكنيسة للطقوس الدينية، إلا انهم لم يتخلوا عن لغتهم الآشورية القومية اطلاقاً. على الاقل في مجال التخاطب والتفاهم اليومي بين مجاميعهم القريبة والمتباعدة نتيجة تجزئة بلادهم بحكم سيطرة سلطات مختلفة عليها. بعبارة اخرى ان الآشورية كانت لغة حية ولغة شعب يعيش الواقع على قسم من الارض، على مدى (26) قرناً، اي منذ سقوط الامبراطورية الآشورية (612 ق.م – عصرنا هذا).

وهناك الكثير من الباحثين اللغويين والآثاريين والمؤرخين واهل القواميس المسمارية يؤكدون ما ذهبنا اليه اعلاه - حقيقة بقاء الآشورية لغة حيّة محكية ومعاشة ومكتوبة ايضاً، وللاستشهاد فقط نورد ما أفاد به أربعة منهم:

1 ـ راهب قبطي: "اما اللهجة الآشورية فهي الدارجة اليوم بين النساطرة والكلدان في العراق وايران وفي قريتي برطلة وقره قوش السريانيتين المجاورتين لمدينة الموصل. ويبلغ سكان المتكلمين بها اليوم مائتي الف نسمة او يزيد قليلاً"[1] (1)

2- البروفيسور (R. Hoberman) من جامعة ستوني بروك/ نيويورك:

"ان الاستخدام العفوي لمصطلح السريانية الحديثة كان سبباً لخلق انطباع خاطيء، بأن هذه اللهجات هي منحدرة من السريانية الكلاسيكية ذاتها. لقد كان هذا الخطأ منذ القرن التاسع عشر. إذ مازالت هناك عناصر لغوية قديمة محفوظة في الكلام اليومي، وهي غائبة تماماً وغير موجودة في السريانية الكلاسيكية. هذا بالاضافة الى وجود عناصر او ثوابت مشتركة بين اللهجات الحديثة والتلمود البابلي او في المندائية، والتي لا وجود لها في السريانية الكلاسيكية."[2]

3- وفي ذات السياق يقول البرفيسور جيفري خان من جامعة كامبرج، مبيناً بان اللغة الآشورية المعاصرة لا تعود الى السريانية الرهاوية بشيء، بل انها تتطابق في العديد من مفرداتها وطرق صرفها مع اللغة الاكدية:

"بعض سمات علم الصرف للآشورية المعاصرة ومن خلال دراسة الرموز القديمة لها، يظهر انها الاكثر قدماً، بالمقارنة مع مثيلاتها في السريانية. ومثلها

---

[1] راهب من الكنيسة القبطية، الكنائس المشرقية واوطانها، جـ2، القاهرة 1999. ص140
يلاحظ استعمال التسميات المذهبية للامة الآشورية الواحدة.

[2] Hoberman, Robert, PH.D., The syntat and semantics of verb morphology in modern Aramic,a Jewish Dialect of Iraq Kurdistan, USA,1989,P.6

بعض المفردات القاموسية للهجات الحديثة (المحكية)، ليست مطابقة للسريانية اصلاً، بل لها جذور يمكن تتبعها لتصل في قدمها الى اللغة الاكدية"[3].

4- وقبل الراهب القبطي و Hoberman وKhan، كان Maclean قد توصل الى هذه الحقيقة من خلال الاختلاط الميداني مع الآشوريين في الجبال الهكارية، إذ قال عن الآشورية المعاصرة:

"مع إختلاف اللهجات المحكية عن بعضها، ولكن ما تشترك به يكفي ان يستدل كونها جميعاً من اصل واحد. في الوقت الذي لا نجد اثراً لهذا الاصل في اللغة السريانية الكتابية. انه خطأ جسيم حقاً ان تعتبر اللغة الآشورية المحكية بمثابة وليد جديد ظهر على انقاض وهياكل السريانية المكتوبة... من المنطق ان تسمى هذه الآشورية المحكية بالحديثة او المعاصرة، الا انها كانت متداولة مع السريانية في ان واحد ولقرون طويلةً."[4]

اهم مميزات اللغة الآشورية الرابعة مقارنة بسابقاتها المسماريات بـ:

1. استعملت كلغة المخاطبة والكتابة والتعبد بعد سقوط الدولة الآشورية 612 ق.م.
2. تمت كتابتها بالاحرف الابجدية وليس بالخط المسماري.
3. اختلطت مع العديد من اللغات السامية وغير السامية خلال الف عام الاولى بعد سقوط الحكم الآشوري، اي منذ القرن الخامس ق.م والى القرن السادس بعد الميلاد. فكان لها ولاهلها تماس مباشر مع اليونان والرومان والفرس ومن بعدهم العرب وغيرهم من الامم الصغيرة.
4. خلال تلك الحقبة صارت للآشوريين لغتين بحكم دخول رسل المسيح الى بلاد آشور من سوريا جالبين معهم التعاليم المسيحية والانجيل باللهجة المحلية (اورهاي - نصيبين). وعلى اثر ذلك سميت باللغة السريانية لانها وحامليها الى بلاد الرافدين (شرق الفرات) كانوا قد قدموا من سوريا.

هكذا فإن اسم السرياني والسريانية له مدلول جغرافي صرف، إلا انه مع تقادم الايام صار البعض يستخدمه كمدلول كنسي وثقافي وقومي ايضاً، والاخير خطأ كبير، لان اعتناق مذهب او دين معين من لدن مجموعة محددة لا يؤهلها علمياً ومنطقياً بأن تبتدع لنفسها قومية أو اصلاً مغايراً لمجموعتها الكبيرة. وهنا كان

---

[3] Khan, Geoffrey, Remarks on the historical background of the modern Assyrian Language, ma'alta "Journal released by Assyrian writes League", Vol.2, No.1, 2008, p.11

[4] Maclean, A.J., Grammar of the Dialects of vernacular Syriac, Cambridge 1895, p.xv.

مكمن الخلاف بين الكنيسة السريانية (اليعقوبية) والكنيسة المشرقية (النسطورية) الآشورية حول المسألة لبقومية على الاقل.

اما عن اللغة القومية الاصلية للآشوريين، فيمكن القول: انها تعرّضت وتصدّت لثلاث مؤثرات قوية خلال مسيرتها الطويلة:

1. دخول صيغ ومفردات غريبة عليها نتيجة خضوع البلاد الى قوى اجنبية متعددة وبصورة متعاقبة.
2. الاهتمام الفائق بالسريانية المستوردة من شمال غرب بلاد الآشوريين لاسباب دينية وعقائدية، فصارت رسمياً لغة الكتابة والبحث والعلوم لدى الآشوريين المسيحيين.
3. لا يقتصر الامر على (2،1) بل ظهر تيار متعصب للدين المسيحي على حساب المسألة القومية والوطنية والحضارية. وبناء على ذلك صار كل ما هو خارج الكنيسة في منظور هؤلاء مبتذلاً واحياناً محرّماً كالغناء والرسم والنحت والادب والشعر واللغة عموماً وحتى الاهتمام بالتاريخ والعمارة في الماضي الآشوري.

إزاء هذه الحالة تراجعت الآشورية كتابة وتأليفاً بشكل كبير امام السريانية في القرون الستة الاولى للمسيحية، ولكنها ظلت لغة الشعب بدون منازع. فالآشوري لم يتكلم السريانية خلال حياته اليومية، ولم يتقنها غير العاملين في سلك الديانية المسيحية من الآشوريين. وحتى تلكم المشتغلين مع السريانية، كانوا يتكلمون ويعيشون ويفكرون بالآشورية خارج اوقات الصلاة او البحث والتأليف في شؤون الدين المسيحي.

ومع الغزو العربي الاسلامي على البلاد الآشورية وما جاورها وتحكمهم بكامل مقدرات البلد والشعب وبصورة مطلقة. ازدات محنة الآشوريين من الناحية الاجتماعية واسلوب الحياة الشخصية والجماعية على حدّ سواء. ومن الطبيعي ان يكون لهذا كله انعكاساً خطيراً على الحضارة والثقافة الخاصة بالآشوريين، وبالتالي على لغتهم القومية بالكامل. خصوصاً مع اعتماد السلطة اسلوب التحكم بالشعب الآشوري من خلال رئاساته الكنسية. الاسلوب الذي كان معتمداً في بلاد آشور منذ ايام سيطرة الفرس الساسانيين الى حدّ ما. هذا الاسلوب الذي حتّم خضوع كامل الشعب الآشوري الى رغبة ومشيئة الامبراطور الفارسي والخليفة المسلم من خلال اخضاع البطريرك، الذي كانت العرب تسميه (ابي النصارى او بطريق النصارى ..... الخ). حيث تم ممارسة الضغط والتقييد الشديد على المدارس الخاصة بالمسيحين ومنعت والنشاطات التبشيرية في ما سموه ببلاد الاسلام. مما تسبب الى مغادرة المئات من شباب الامة، من الطبقة المتعلمة وذوي المهن الراقية خصوصاً. غادروا الى بلدان الشرق والغرب على حدّ سواء. وهذا تسبب في شيوع الأمية بين الآشوريين في الكنيسة وخارجها. ولا يخفى ما لذلك من تأثير على حركة التأليف والتعليم في الوطن الام للآشوريين سواء باللغة السريانية – لغة الكنيسة – أو بالآشورية – لغة الشعب الآشوري – في الحياة اليومية.

وبالنظر للمسيرة الطويلة للغة الآشورية المكتوبة عبر حقب تاريخية وحضارية وسياسية متعددة ومختلفة وحسب اللمحة التاريخية المختصرة التي مرّتْ. فإن هذه اللغة قارعت لغتين شريفتين مدعومتين بكتابين سماويين. الاولى: اللهجة (اللغة) السريانية التي قدمت الى الآشوريين وبلادهم من الشمال الغربي حاملة الرسالة المسيحية والانجيل. والثانية: بعد ستة قرون من الاولى قدمت من الجنوب الغربي لبلاد الآشوريين، وهي لهجة قريش (اللغة) العربية للقرآن والدعوة الاسلامية.

وكل ما قلناه قد تسبب في تراجع الآشورية وجمودها وانحسارها على لسان الانسان الآشوري، دون التأليف والتدوين والبحث والتطوير في كافة المجالات اللغوية المعروفة، بالاضافة الاهمال المقصود حتى للمكتوب بهذه اللغة. وكانت وراء هذا الكنيسة طبعاً، لان المدارس كانت باشرافها وادارتها، والتلاميذ والخريجين كانوا من رجال الكنيسة وان نظرتهم وكنيستهم كانت سلبية على كل ما هو غير ديني صرف.

ولكن لا يجب ان يفهم من هذا اطلاقاً، بأن الآشورية الرابعة (الابجدية) قد صارت في مهب الريح، كما يحلو للبعض ويدعي البعض الاخر ذلك ظلماً وبهتاناً. إذ هناك الكثير من الشواهد والبراهين الحضارية والثقافية وحتى المادية، تدل وتؤكد بصورة لا لبس فيها عن وجود وبقاء اللغة الآشورية – القومية. المعاصرة طوال فترة الحكم الساساني والعباسي وما تلاه من حكومات غير عربية وافدة الى البلاد من الشرق والشمال، واحياناً من الشمال الغربي والغرب ايضاً. وقد جاءت هذه الشواهد في معظمها بعد الانهيار الشبه الكامل للمؤسسة الكنيسية المشرقية على يد التتر ومن قبلهم المغول، وما تلاهم من مجاميع غازية لا تقيم للانسان والحضاره وزناً منذ سقوط بغداد العباسية 1258 والى سقوط الدولة العثمانية 1918 مع نهاية الحرب العالمية الاولى.

خلال تلك الفترة العصيبة فقد الآشوريون المسيحيون كل ما له صلة بالنمو والتطور المجتمعي ومن ثم توقف التطور الثقافي واللغوي والفني لديهم، وهذا معروف للجميع. ولكن المعدن الاصيل لا يعرف الا عند التعدين، هكذا هي الشعوب الحضارية الاصيلة، كلما تعرضت الى الضغوطات والمحن، كلما تشبثت بأصالتها واصرّت على بقائها.. بل وحاولت بشتى السبل إيجاد مخرج لها من محنتها.. هذا كان مع الآشوريين.. فبعد كل هذا وتحديداً مع دخول البشرية في المنطقة النصف الثاني من الالف الثاني للمسيحية، وقرب السريانية الى الانهيار الكامل، عندها شمرّ شباب الامة السواعد سواء في الوطن الام او في الاطراف وهبوا الى العمل الحثيث في تعلم وتعليم اللغة ومباديء المسيحية الاصلية والكتابة والنشر، وجمع المكتوب ودراسته واعادة إحيائه من خلال تلقينه للخاصة والعامه من ابناء هذه الامة.

هكذا ظهرت بين الآشوريين مجموعتان كبيرتان، عملتا بكل جهد ممكن ودون كلل او ملل، من اجل هذا الهدف النبيل، وهو إحياء اللغة الآشورية من اجل الحفاظ على هوية الامة المتسمة بأنها امة حضارية تحب العلم وتهتم بالثقافة وتقدس التأليف والنشر والتعليم في كل الظروف وفي كل مكان.

المجموعة الاولى: عملت في سهول آشور خصوصاً بعد ان قدم الى هذه البلاد خلال ثلاثة قرون الاخيرة العشرات من رجال الارساليات التبشيرية الغربية. بذلوا جهوداً هائلة وصرفوا اموالاً طائلة من اجل إعادة السريانية الى امجادها من خلال فتح معاهد وأقسام خاصة في جامعات معروفة لتدريس هذه اللغة، وطبع ونشر المئات من المخطوطات القيّمة القديمة. والاصرار على استعمالها في الكنائس من خلال الطقس المشرقي والذي جاء بها بالكامل منذ قرون خلَتْ. ولكن كل ذلك لم يأت بنتيجة حتى ولو بالحدّ الادنى، لأنها لم تكن لغة الشعب الآشوري أصلاً. والذي حصل كان غزو اللغة العربية بشكل شبه مطلق على الكنائس والمعابد التابعة الى الكنيسة السريانية والكاثوليكية (الكلدانية). فكانت الخسارة أعظم ، إذ من خلال هذه الخطوة صار معظم الشعب الآشوري من اتباع هذه الكنائس يتكلم العربية حتى في حياته اليومية بدلاً من لغته القومية. ومن ثم فقدوا الشعور القومي وبريق الحضارة الآشورية بالكامل، وصار معظمهم يدّعي إنتمائه عن جهل الى الاصول العربية.

المجموعة الثانية: قال عالم الآشوريات – وأستاذ المسماريات، الآشوري فريد تميمي في مقال منشور بعنوان (الاول هم الآشوريون) عن اللغة الآشورية ما يأتي:

"ليس هناك أمة، قديماً وحديثاً يمكنها تتبع أثارها في اعماق التاريخ اكثر من امة آشور. يمكن قراءة تاريخها المدون على رقمياتها منذ الف عام قبل المسيح بسهولة. ولغتها تعود الى حيث زمن ادم وحواء. نعم، بالفعل تعود الى لغة اعماق حضارة ما قبل الطوفان، اللغة التي استمر استعمالها من قبل نوح، ابراهيم، موسى، المسيح، ومحمد، وحتى الزرادشت.

انها اللغة الوحيدة التي يمكننا بواسطتها من التقصي بدقة سجلات الحضارات القديمة والامبراطوريات العظيمة. وحيث انها لم تكن فقط لغة الامبراطورية الآشورية العالمية، فقد استمر استعمالها من قبل الامبراطوريات الناجحة امثال مصر القديمة وميديا وفارس القديمة وحتى الاغريق والروم تتلمذوا وتحضروا من خلال وسيط ابجدية اللغة الآشورية. ليس هناك لغة على الكرة الارضية يمكنها الادعاء بهكذا عمق تاريخي ولفترات مستمرة (متصلة). انها اللغة الوحيدة التي من خلالها يمكننا ترجمة الرقميات القديمة والاعمال الدينية العظيمة، وفهم حقيقتها ومعناها الحقيقي."[5]

ان مثل هذا الكلام الذي مضى على نشره اكثر من نصف قرن يمكن ان يوضح بجدارة ما نريد ان نقوله في هذه الورقة وبدون مبالغة.. نعم انها اللغة الآشورية وانه قدرها!!

أنها اللغة التي سعت للنهوض بها المجموعة الثانية، والتي كانت ساحة عملها في اعالي دجلة والفرات وسهول اورميا العريقة حيث الكثافة السكانية من اتباع كنيسة المشرق الآشورية ، وحيث رئاسة هذه الكنيسة. وما ميّز هذه المجموعة عن سابقتها انها

[5] مقال منشور في: "نشرة الجمعية الاكاديمية الآشورية – بريطانيا، المجلد 1، العدد 17، شتاء 1969"

تيقنتْ من عدم جدوى العودة الى السريانية خصوصاً في عصر ظهرت وطغت فيه الفكرة القومية بين معظم الامم والشعوب المحيطة بالآشوريين.

ولما كانت الغالبية العظمى من رواد هذه المجموعة من الكادر الكنسي بإمتياز، لذلك جاءت كل اعمالهم الادبية واللغوية، وهي تعالج المسائل الدينية المسيحية ولكن باللغة الآشورية المعاصرة (اللغة الآشورية الرابعة). وهذا بحد ذاته يعتبر نقلة نوعية كبيرة في مسيرة اللغة الآشورية القومية، إذ تلك كانت المرة الاولى في التاريخ التي يتبنى رجال الكنيسة اللغة الآشورية للكرازة والتفسير والتبشير بالانجيل المقدس عوضاً عن السريانية. وان هذه الخطوة لم تأت إعتباطاً بالتأكيد، بل كانت حصيلة دراسة ميدانية صادقة بعد الاحتكاك بالجماهير المسيحية المؤمنة (الرعية) والوقوف عند مقدرتهم الواقعية والفعلية في استيعاب المسائل الدينية باللغة السريانية من جهة. ومن جهة اخرى تيقن تلكم الرجال انْ لا سبيل آخر يمكن بواسطته جمع اشلاء الامة المتناثرة بين الدول وشعوبها كالعرب والفرس والترك والروس والاذريين وغيرهم إلا من خلال اللغة القومية الواحدة الموحدة. وان لغتهم الآشورية أهل لذلك دون منازع.

من هنا ولهذه الاسباب وغيرها صار المجتمع الآشوري يسمع التراتيل الربانية في الكنائس والاديرة بلغته الام منذ اواسط القرن الخامس عشر وصعوداً. حيث نشطت حركة التأليف والتفسير والتدريس بالآشورية ابتداء من سهل آشور وصولاً الى بحيرتي وان واورميا والى الغرب حيثما وجدت الكنيسة الآشورية التي كانت الى ذلك الحين لا تقبل داخل جدرانها سوى السريانية وكأن الله لا يفهم لغة غيرها.

هكذا جاءت البدايات على يد الكثيرين ممن آمنوا بان البقاء لا يكتب الا للغة الام الآشورية. وقد وصلتنا بواكير اعمال البعض منهم، وضاعت الكثير منها لغيرهم، لان المصائب التي عانت منها الكنيسة وشعبها تضاعفت في تلك الفترة وما بعدها.

في صنوف الكتابة والتأليف باللغة الآشورية المعاصرة: -

1- كما مرّ في هذا البحث، بأن البديات الحقيقية للكتابة والتأليف بالآشورية المعاصرة خرجت من كنف الكنيسة، وكانت تعالج الامور المسيحية الدنيوية والسماوية، وتهتم بتفسير الفصول التبشيرية في العقيدة المسيحية . وإعداد الانسان المؤمن لمجابهة الحياة وصعابها على الارض وبنائه عقائدياً لملاقاة رب السماوات في الآخرة. وقد برع العشرات من الكهنة والرهبان في هذا المجال وابدعوا في هكذا صنف من الادب سواء في الجانب الروحاني التربوي او في الجانب اللغوي، ونذكر منهم:
   1- القس يوسف جمال الدين (1590 – 1667) وهو من اعظم ادباء الآشورية المعاصرة في تلك الفترة.
   2- القس هرمز الالقوشي (توفي مطلع القرن السابع عشر).
   3- القس اسرائيل الالقوشي (1541 – 1611).

4- القس يوسف ابن القس قرياقوس.

5- القس كوركيس الالقوشي (توفي مطلع القرن الثامن عشر).

6- القس يلدا ابن القس عبد يشوع ابن القس خوشابا (عاش في القرن الثامن في القوش).

7- القس اسرائيل ابن القس شمعون ابن القس اسرائيل الالقوشي، عاش في اواسط القرن الثامن عشر في القوش.

ومن مشاهير المؤلفين الآشوريين في الجبل الآشوري وسهل اورميا خلال تلك الفترة، كان:

1- مار يوخنا اسقف ماوانا في ايران حالياً.

2- القس هيديني ابن القس ياهو من قرية كِسْا من اعمال تخوما، وهو من من القرن الثامن عشر.

3- مار خنانيشوع مطران روستاقا (ܕܗܟܛܐ)[6]

4- القس مروكي من فراشين ـ هكاري

5- القس برايم (ابراهيم) التخومي

ويضاف الى الرعيل الاول من ادباء الآشورية المعاصرة القس صومو من قرية بيوز الى الشرق من القوش. باتجاه عين سفني. وحسب المصادر كانت وفاته في 1742م.

ومن اشهر الادباء والكتاب الآشوريين او مَنْ كتبوا بالآشورية المعاصرة في القرن التاسع عشر هم:

1- القس يوسف كوريال من خوسراوا – سهل اورميا.

2- القس ابراهام كوناط (1780 – 1860) من بمباكودا في الهند.

3- القس داود قرداخي البرزاني من قرية بارزان في الزيبار، وكان هناك أبان إنتشار الوباء في الزيبار سنة 1827. ثم تحول الى عينكاوه.

4- القس توما تكتك (المتوفي سنة 1860) اصله من شرانش شمال زاخو.

5- داويذ كورا اصله من قرية ديركني الشهيرة في شمال شرقي العمادية، توفي في الموصل سنة 1889 ودفن في مقبرة الغرباء في دير مار كوركيس.

---

[6] للمزيد عن هؤلاء الكتاب العشرة ينظر: مجلة مجمع اللغة السريانية، المجلد الرابع، بغداد 1978، الاب د. يوسف حبي – ادباء السورث الاوائل، ص97.

وهناك العشرات غيرهم ألفوا وكتبوا وفسّروا الكتب الكنسية بالآشورية المعاصرة، خلال تلك الفترة وكانت غالبيتهم من تخوما. وهذه نقطة مثيرة للانتباه، لماذا في تخوما دون غيرها؟

في اعتقادي ان الأدب الرائج في تلك الفترة كان الادب الديني (الايماني)، وان الانسان الآشوري التخومي كان اكثر ايماناً والتزاماً بالدين، من هنا تهافت المؤمنون على حفظ وكتابة وقراءة مؤلفاتهم مما جعلها تصمد امام العايدات وتصل الينا بهذه الغزارة.

مع اواخر القرن التاسع عشر، بسبب تغير النظرة الى الدين والمسألة القومية بشكل جذري ليس لدى الآشوريين بل لدى كافة الشعوب الشرق – اوسطية المحيطة بهم. يشاهد المتتبع ظهور الكثير الكثير من الكتّاب والادباء والشعراء من خارج دائرة الكنيسة. وتعددت المواضيع التي تناولها الكاتب والشاعر الآشوري، خصوصاً في الجبال الهكارية، ومنطقة سهل اورميا.

وظهرت الصحف الآشورية في زمن مبكر مقارنة مع بقية المجموعات القومية المحيطة، رغم التفاوت الكبير في عدد السكان والامكانات لدى الآشوريين، فهم الاضعف والاقل عدداً بين القاطنين في المنطقة. وقد رصد الاديب واللغوي الآشوري الراحل يوآو بنيامين صدور (67) مجلة وصحيفة بالآشورية فقط او بالآشورية مع لغة اخرى بين الاعوام (1849 – 1993). أولها كانت زاهريرى دْبَهرْا في اورميا عام 1849 واخرها آغونا في سان فرنسيسكو عام 1993.[7]

وقد يفوق عددها الان في (2019) الـ (150) صحيفة سبب التطور الاجتماعي والاتصالاتي والالكتروني، وانتشار الآشوريين في اكثر من (45) دولة، بالاضافة الى وطنهم الاصلي في العراق وتركيا وسوريا وايران، وتصاعد الشعور القومي لدى معظم الشباب الآشوري في هذا العصر.

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، أصبح طابع معظم الكتابات الآشورية مدنياً (ليس دينياً) وصار المرء يقرأ ويسمع نتاجات ادبية اشورية تعالج مسائل انسانية واجتماعية وثقافية وسياسية وقومية وتأريخية وحتى لغوية صرفة كالقواعد والصرف.

- وظهرت القواميس الآشورية وهي اما اشورية – عربية، او اشورية – انكليزية. او اشورية – فارسية، او اشورية – روسية... الخ، وبالعكس: اي اعتماد احدى اللغات الاجنبية اساساً للقاموس والاتيان بالمعنى الآشوري المقابل لها.
- كما صدرت المئات من الدواوين الشعرية في الوطن والمهجر تعالج شتى الفنون الشعرية بالاضافة الى القصة والمسرحية والرواية. والعشرات من

[7] Yoab Benjamin's Studies in language and literature, By Daniel Benjamin, Mall publishing, co,2002 p.52

الكتب والمصنفات التأريخية الكبيرة وهي تعالج التاريخ الآشوري القديم والمسيحي والمعاصر.

- هذا كله أنتجه الآشوريون خلال النصف الثاني من القرن العشرين ولاحقاً. كما فتحت العشرات من المحطات الاذاعية والتلفزيونية باللغة الآشورية وخصوصاً في بلدان المهجر الاوربي.
- كذلك بدأت حركة الترجمة من الآشورية واليها خلال النصف الثاني من القرن العشرين، رغم كونها تسير ببطء مقارنة مع الاعمال الاخرى. وللاستدال عن حركة وحجم التأليف والنشر بين عامي (1840 – 1990) أي خلال (150) سنة، تمكن الاديب والكاتب القس شموئيل دنخا من رصد اسماء (292) اديب وكاتب وشاعر آشوري،[8] عدا الموجودين في الاتحاد السوفيتي، لان الاطلاع على اصداراتهم الكتابية لم يكن من السهل ابان حكم ذلك النظام. ومن الصواب القول بان هذا العدد قد تضاعف منذ (1990) ولحد الان.

خلاصة البحث:

لاحظ كيف ان اللغات الآشورية القديمة والمعاصرة وخلال رحلتها الطويلة مع الزمن، قد مرت بمسافات غامضة واخرى مضيئة مشرقة، خلال تلك الرحلة مع زمن الكتابة، والقلم، والفكر الآشوري القومي، وعليه يمكن القول:

1- الآشوريون من أقدم الشعوب التي سكنت شمال بلاد الرافدين، إن لم يكونوا أقدمها إطلاقاً. وهم كانوا آشوريين قبل ان يعلنوا ذلك للعالم بأنفسهم، عندما كتبوا على الطين والصخر مصرحين قائلين "نحن آشوريون"، لأنه ليس من المعقول أن يسمى شعب، وحضارة، ودين، ولغة، وثقافة باسم ما لحظة نطقه وكتابته! ومن دون خلفية طويلة لهذا الاسم ومدلولاته وقيمه الحضارية في نفوس اصحابه.
2- صار الآشوريون مع حلول الألف الثاني ق. م. مركز اشعاع ثقافي وحضاري في شمال بلاد الرافدين (وطنهم القومي) ومن ثم في منطقة جنوب غربي آسيا برمتها، حيث أخذت العديد من الشعوب المجاورة، الكثير من لغتهم وثقافتهم. وينطبق الحال على البريد والمواصلات والطب والتنجيم والفلك وهندسة الري وعلوم السيطرة على الانهار والاستفادة منها للزراعة والمواصلات.
3- مع التوسع الآشوري إلى الشمال الغربي والى غرب الفرات، ومنذ أواخر الألف الثاني ق. م. وكون الآشورية (حالة ثقافية وليست عنصرية) تقبلها أهل تلك الديار واعتنقوها فصاروا يسمون باسماء آشورية ويعبدون آلهتهم ويكتبون بلغتهم- وان

[8] Rev. Samuel Dinkha, A short history of the modern Assyrian literature (1840-1990), Milpitas California 1991, Vol.(1.2).

لم يتقنوها- فاللغة الأكدية/ الآشورية، وردت وبنسبة عالية في مخطوطات اوغاريت وابيلا والى تل العمارنة في صعيد مصر.. الخ.

ومع الزمن تلقحت اللهجات المحلية في البلاد المحصورة بين الفرات وشرق البحر المتوسط، التي جاء اسمها اصلاً من اسم آشور، فإن تسمية سوريا ليست إلا تخريج لفظي من آشور- آشوريا- اسريّا. وصارت تقترب (اللهجات السورية/ السريانية)، من الآشورية شيئاً فشيئاً إلى أن وصلت مع بزوغ المسيحية وانتشارها في معظم بلاد الرافدين بين الآشوريين وغيرهم، إلى ما هي عليه الان تقريباً.

4- بقيت اللغة الآشورية والكثير من ارشيفها، وبقيت الثقافة وفنون العمران، واخبار الحروب والخطط والمناورات العسكرية والبريد، بعد زوال الصولجان من يد الآشوريين- بقيت آشور بكل معانيها ولكن بقيادة غيرها- إلى العهود الاخمينية والساسانية، ومن ثم المسيحية والى العهد العربي الإسلامي- أيام الأمويين والعباسيين-.

5- مع ظهور المسيحية، اعتنقها الآشوريون بشكل شبه جماعي! كردة فعل لمعاملة الفرس لهم اقتصادياً وثقافياً، وخاصة في مسالة فرض الزرادشتية عليهم قسراً. ومع اعتناقهم لهذه الديانة الجديدة- المسيحية- اصبحت عاملاً جعلهم يعانون الكثير بسببه. ولكنه سرعان ما تحول الى العامل أو السبيل الأوحد الذي مكنهم من البقاء كأمة متميزة حضارياً، إلى يومنا هذا. وهم بدورهم نشروا وطورا المسيحية إلى درجة أكسبتها خصوصية آشورية مما مهد لظهور مصطلح - المسيحية الآشورية / Assyrian Christianity – لاحقاً.

6- تبنى رجال المسيحية الأوائل ومن خلال الكنيسة الآشورية (كنيسة المشرق) التي أسسوها منذ القرن الأول للميلاد في اربيل والجبال الآشورية، وطيسفون، واورهاي، ونصيبين، تبنو اللهجة السريانية المحلية (الرهاوية) كلغة رسمية للكنيسة والتعليم الديني. وانحسرت الآشورية بدرجة كبيرة أمام السريانية (لغة المسيح حسب الادعاء)، في مجال الكتابة والتأليف والإبداع الفكري والأدبي، ولكن ليس في مجال التكلم والتخاطب اليومي وممارسة الفلكلور الشعبي، فإن ذلك كله بقي آشورياً وباللغة الآشورية والى يومنا هذا ـ ليس عند جميع الآشوريين ـ.

7- ثم انحسرت السريانية بشكل شديد مع سقوط الدولة العباسية، وقدوم التتر والمغول والموجات التركية المتعاقبة على بلاد الرافدين، لان الكنيسة والمعترف بها رسمياً من قبل الأمويين والعباسيين، كانت المكان الوحيد لتعلم السريانية ونشرها، فمع زوال الدولة العربية وزوال هيبة وسلطة الكنيسة عملياً، زالت مدارسها وخمدت السريانية في بطون مخطوطاتها- الشعب الآشوري لم يدافع عنها كونها ليست لغته القومية.

8- وعلى العكس من ذلك، فإن الآشوريين هبوا إلى إحياء لغتهم الآشورية القومية- الآشورية المعاصرة (الرابعة)- عند توفر أية فرصة أمامهم، رغم ضعفهم الشديد جراء الاضطهاد المغولي والعثماني من بعده. ورغم الاضطهادات التي مارستها

جميع القوى الغازية القادمة إلى العراق (بلاد الرافدين) بعد المغول والتتر وبلا استثناء. يشاهد القارئ والباحث، وبكل وضوح، الولادة الصحيحة والنمو الطبيعي للغة الآشورية منذ القرن الخامس عشر وصاعداً.

9- بعد ان صارت الآشورية المعاصرة حالة واقعة، وصارت المحافل الأكاديمية الغربية تدرسها باهتمام وتبحث فيها، وبعد ان ترجم الكتاب المقدس إليها خير مرة. وتم إجراء المقارنات العديدة بينها وبين الأكدية (الآشورية المسمارية) من جهة، وبينها وبين اللهجة السريانية من جهة أخرى- السريانية التي نشأت وتطورت في كنف اللغة والثقافة الآشوريتين. ظهرت حقيقة اللغة الآشورية المعاصرة، ولكن عكس ما كان يروّج له البعض بأن الآشورية المعاصرة، عبارة عن لهجات محلية من السريانية-

من خلال هذه البحوث والدراسات والمقارنات، رغم قلتها وحداثة عهدها، قد تبين الآتي:

أ. أن الآشورية المعاصرة تلتقي مع الأكدية، اكثر من التقائها مع اللهجة السريانية.

ب. أن الآشورية المعاصرة، لغة حية قائمة بذاتها، لها آدابها وقواعدها وقواميسها وموروثها اللغوي المستقل، وعلى هذا الأساس لا يجوز دراستها من خلال السريانية، التي توقفت عن

ج. التطور منذ إنتكاسة الكنيسة الآشورية في القرن الثالث عشر وما بعده، كما مر ذكره، إذا أريد لهكذا دراسات ان تكون علمية ومنطقية.

د. لابد من الاعتراف بالآشورية المعاصرة كلغة عراقية أصيلة، ولغة قومية للآشوريين في وطنهم والمهجر، والاهتمام بها من خلال دراستها وتدريسها اكاديمياً في العراق، لما في ذلك من أهمية قصوى لفهم الأكدية (الآشورية – البابلية) القديمة من جهة، وفهم واستيعاب معظم اللهجات العراقية والسورية (العربية) من جهة أخرى، لان هذه اللهجات العربية المحلية المتوارثة منذ القدم، لا تلتقي بالدرجة الأولى إلا مع الآشورية الرابعة، ومن ثم الآشوريات المسمارية.

د. عوديشو ملكو آشيثا
دهوك ـ العراق
شباط/ 2019